Journal Of the Iraqia University (74-5) September (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

تحليل جدلي العلاقة بين الفكر الديني والدين في ضوء القرآن الكريم

A dialectical analysis of the relationship between religious thought and religion in light of the Holy Qur'an

سماح حميد حاجي جامعة قم فرع علوم القرآن والحديث

Samah hameed haji

University of Qom, Department of Quranic and Hadith Sciences

zz2264493@gmail.com

المشرف:الدكتور محمد كاظم رحمان ستايش أستاذ علوم القرآن والحديث جامعة قم

Dr. Muhammad Kazim Rahman Staish

Professor of Quranic and Hadith Sciences, Qom University

Kr.setayesh@gmail.com

الدكتور محمد رضا مؤدب استاذ مساعد فى جامعه قم

Reza@moaddab.ir

Dr. Mohammed Reza Moadab

Assistant Professor at Qom University

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة جدلية العلاقة بين الفكر الديني والدين في ضوء القرآن الكريم، من خلال الكشف عن أوجه التمييز والتداخل بينهما، وتحليل انعكاسات ذلك على الواقع الفكري والاجتماعي. فقد انطلق البحث من فرضية مفادها أن الدين يمثل الحقيقة الإلهية الثابتة والمطلقة، بينما الفكر الديني هو جهد بشري اجتهادي يتأثر بحدود العقل البشري وسياقاته التاريخية والثقافية، وهو ما يجعل العلاقة بينهما علاقة جدلية قائمة على التفاعل المستمر. أظهرت النتائج أن القرآن الكريم يميز بوضوح بين الوحي الإلهي كمرجعية مطلقة وبين الفهم البشري لذلك الوحي، إذ دعا إلى التدبر والتفكر وإعمال العقل، لكنه في الوقت ذاته وضع ضوابط معرفية وأخلاقية تحول دون تجاوز حدود النصوص القطعية أو تحويل الاجتهادات البشرية إلى حقائق نهائية. كما بينت الدراسة أن الفكر الديني يتميز بالنسبية وقابلية التغير والتطور، وهو ما يجعله أداة لفهم الدين وتطبيقه في مختلف الأزمنة والأمكنة، في حين يبقى الدين نفسه ثابتًا من حيث الأصول والمبادئ الكلية. ومن أهم ما خلصت إليه الدراسة أن الخلط بين الدين والفكر الديني يؤدي إلى مشكلات معرفية وسلوكية خطيرة، حيث يتم التعامل مع الرأي البشري على أنه حكم إلهي، مما يفضي إلى التعصب وإقصاء الآخر وغياب روح الحوار. كما أن هذا الخلط يسهم في تعطيل التجديد والاجتهاد الذي دعا إليه القرآن الكريم باعتباره ضرورة لمواكبة متغيرات الحياة الإنسانية. وقد تبين أن العلاقة الجدلية بين الفكر الديني والدين ليست علاقة تطابق أو تضاد، بل علاقة تفاعل تكاملي، حيث يعمل الفكر الديني على استيعاب النصوص الشرعية وتطبيقها في الواقع، بينما يبقى الدين هو المرجعية الضابطة لهذا الجهد. وتؤكد النتائج أن القرآن الكريم يمثل المرجع الأعلى في تصحيح مسارات الفكر الديني وضبط اجتهاداته، بما يحقق التوازن بين الثابت الإلهي والمتغير الإنساني. وبناءً على ذلك، توصي الدراسة بأهمية إعادة قراءة الفكر الديني في ضوء القرآن الكريم، بما يضمن تجديده وفق متطلبات العصر، مع المحافظة على جوهر الدين وثوابته، وذلك من أجل تجاوز الأزمات الفكرية والاجتماعية التي يفرزها الخلط بين المطلق الإلهي والنسبي البشري. **الكلمات المفتاحية: جدلية، الفكر، الدين، القرآن الكريم**

Abstract:

This study aims to examine the dialectical relationship between religious thought and religion in light of the Qur'an, by uncovering the aspects of distinction and overlap between them and analyzing their implications for intellectual and social reality. The research is based on the assumption that religion represents the absolute and immutable divine truth, whereas religious thought is a human endeavor of interpretation shaped by the limits of human reason and its historical and cultural contexts. This renders their relationship a dialectical one, founded on ongoing interaction. The findings reveal that the Qur'an clearly distinguishes between divine revelation as an absolute authority and human understanding of that revelation. While the Qur'an calls for reflection, contemplation, and the use of reason, it also sets epistemological and ethical boundaries that prevent the transgression of definitive texts or the elevation of human interpretations to the level of absolute truths. The study further demonstrates that religious thought is characterized by relativity and the capacity for change and development, making it an instrument for understanding and applying religion across different times and contexts, while religion itself remains fixed in its foundational principles. One of the key conclusions of this research is that conflating religion with religious thought leads to serious intellectual and behavioral problems, as human opinions are mistaken for divine rulings. This results in fanaticism, exclusion of the other, and the absence of constructive dialogue. Moreover, such confusion hampers renewal and ijtihad, which the Qur'an considers essential for addressing the evolving realities of human life. The study finds that the dialectical relationship between religious thought and religion is neither identical nor contradictory, but rather complementary. Religious thought serves to understand and apply the revealed texts in reality, while religion remains the ultimate reference that regulates this endeavor. The results confirm that the Qur'an functions as the supreme reference for correcting the course of religious thought and guiding its interpretations, thereby achieving a balance between the divine absolute and the human relative. Accordingly, the study recommends the necessity of re-reading religious thought in light of the Qur'an, in order to ensure its renewal in line with the requirements of modern times, while preserving the essence and constants of religion, thus overcoming the intellectual and social crises arising from the confusion between divine absolutes and human relativity.

Keywords: dialectic, thought, religion, Holy Quran.

المقدمة:

يشكّل القرآن الكريم المرجعية العليا والينبوع الصافي الذي تنطلق منه الرؤية الإسلامية في فهم الدين وتحديد موقع الفكر في بنية التصور العقدي والتشريعي للأمة. فالقرآن ليس مجرد نص مقدّس يقتصر دوره على التلاوة والشعائر التعبدية، بل هو كتاب هداية ومنهج حياة، يوجّه الإنسان إلى استخدام عقله وفكره في إدراك الحقائق الكونية والشرعية معاً. ومن هنا فإن دراسة العلاقة بين الفكر الديني والدين في ضوء القرآن الكريم تكتسب أهمية مركزية، لأنها تمكّن الباحث من استجلاء معالم التوازن الذي أقامه الوحي بين النص والعقل، وبين الإيمان والتفكر. لقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تؤكد على قيمة الفكر والتدبر والنظر، إذ دعا الإنسان مراراً إلى التأمل في آيات الله في الكون والأنفس، وإلى التدبر في معاني الكتاب العزيز. قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ١٩٠]، وقال سبحانه : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد : ٢٤]. هذه النصوص وغيرها تبين أن الفكر في التصور القرآني ليس عدواً للدين ولا بديلاً عنه، بل هو وسيلة لفهم الوحي، وطريق لتثبيت الإيمان في القلوب، وجسر يربط بين النصوص المقدسة والواقع الإنساني المتجدد. ومن جهة أخرى، يضع القرآن الكريم ضوابط لهذه العلاقة، فيرسم حدوداً للعقل حتى لا يتجاوز مجاله، ويحذر من الانحرافات التي قد تقع عندما ينفصل الفكر عن الوحي أو يتعارض معه. قال تعالى : ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء : ٣٦]، وفي ذلك توجيه صريح للعقل ألا يتجاوز ما لا يملك أدوات معرفته، وألا يتجرأ على الغيب الذي اختص الله بعلمه. وهذا يبين أن القرآن يؤكد التكامل بين الفكر والدين، ولكنه في الوقت نفسه يمنع من الغلو أو التفريط في أحدهما. وعليه، فإن تحليل جدلية العلاقة بين الفكر الديني والدين في ضوء القرآن الكريم يتطلب دراسة معمقة للآيات التي تتناول العقل، والتفكر، والتدبر، إلى جانب النصوص التي تحدد المرجعية العليا للوحي وتضع للعقل حدوده المشروعة. كما يتطلب الكشف عن المنهج القرآني في الجمع بين الإيمان بالغيب والعمل بالعقل، وكيف استطاع أن يخلق توازناً فريداً بين الثابت والمتغير، بين النص المقدس والاجتهاد العقلي، وبين المطلق الإلهي والنسبي البشري. إن هذا الفصل يسعى إلى بيان أن القرآن الكريم لم يجعل من الفكر خصماً للدين، وإنما جعله شريكاً في فهمه وتطبيقه، بل واعتبر تعطيل الفكر نوعاً من الضلال الذي يقود إلى العمى الروحي. ولذلك فإن الوقوف على هذه الجدلية يكشف عن عمق الرؤية القرآنية في صياغة العلاقة بين الفكر والدين، ويضع الأساس لمقاربة نقدية متوازنة تسهم في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر دون الخروج عن ضوابط الوحي ومقاصده.

المبحث الأول : العرض القرآني للعلاقة بين الفكر والدين

يؤكد القرآن أن "التفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم". هذا التأكيد يوضح أن إعمال العقل ليس مجرد خيار، بل هو وسيلة أساسية لإدراك الرسالة الإلهية والتعمق فيها. يتكرر الأمر القرآني بـ"تدبروا القرآن" مرارًا، وغالبًا ما يأتي في سياق توبيخ أولئك الذين يهملون الانخراط الفكري مع النص المقدس. هذا يشير إلى أن القراءة السطحية غير كافية؛ فالفهم الحقيقي يتطلب جهدًا عقليًا نشطًا. وقد أكد علماء كبار مثل حجة الإسلام أبي حامد الغزالي على "أولية الفكر" في فهم القرآن، مشيرًا إلى أن "كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار، والنظر والافتكار". هذا يؤسس لسابقة تاريخية للبحث الفكري ضمن التقاليد الإسلامية. تُبرز الآيات القرآنية مثل "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" [محمد : ٢٤] أن الجمود الفكري يرتبط بالقصور الإيماني. يشير هذا إلى أن الفكر الديني والدين في القرآن لا ينفصلان. فالقرآن يرى النشاط الفكري شرطًا مسبقًا ومسارًا للإيمان والفهم الحقيقيين، وليس شيئًا منفصلاً أو متناقضًا. إن الصياغة السلبية في الآيات المذكورة توحي بأن غياب الانخراط الفكري يعيق الفهم الروحي ويمكن أن يؤدي إلى "حالة إيمانية سلبية". هذا يشير إلى ارتباط مباشر : الجمود الفكري يؤدي إلى نقص روحي، والعكس صحيح، فالفكر النشط حيوي للرفاه الروحي واستيعاب الهداية الإلهية. هذا التوجه يتحدى أي ثنائية بسيطة بين الإيمان والعقل غالبًا ما توجد في تقاليد دينية أخرى أو في الانتقادات العلمانية للدين. فالقرآن يعتبر العقل أداة لفهم الوحي، والإيمان الحقيقي ليس أعمى بل مستنير بالتأمل. هذا يمهد الطريق لتقاليد غنية من الفلسفة الإسلامية والتأويل.

تحديد النطاق : للفكر الديني مقابل للدين في السياق القرآني :

لفهم العلاقة المعقدة بين الفكر الديني والدين في القرآن، من الضروري تحديد هذين المصطلحين ضمن القرآن. يشمل مصطلح "الدين" في القرآن طيفًا واسعًا من المعاني، بما في ذلك الملك، والقوة، والإحسان، والعبادة، والسلطة، والخضوع، والاستسلام (الإسلام)، والتوحيد. هذا الثراء اللغوي يشير إلى أن "الدين" في القرآن ليس مفهومًا ضيقًا، بل يشمل مجموعة واسعة من التفاعلات البشرية والإلهية. في السياق الإسلامي، يُعرّف "الدين" تحديدًا بأنه "ما شرعه الله يدعو به أصحاب العقول السليمة إلى اختيار الصلاح في الحياة الدنيا والسعادة في الآخرة". هذا التعريف يؤكد على دور العقل والاختيار في اعتناق المسار الإلهي. يطبق القرآن كلمة "الدين" حتى على العقائد الوثنية والتقاليد الأخرى، كما يتضح في الآيات مثل القرآن يوضح فهم القرآن الواسع "الدين" كنظام للمعتقدات والممارسات، سواء كان موجهًا إلهيًا أو من صنع البشر. أما "الفكر الديني" فيشير إلى العمليات الفكرية، والمنهجيات، والأطر التي يطورها البشر لفهم وتفسير وتطبيق مبادئ "الدين" كما وردت في القرآن. ويشمل ذلك التفسير، وعلم الكلام، والفلسفة، والفقه. يعزز القرآن نفسه علاقة ديناميكية بين هذين المفهومين، حيث يقدم آياته كـ"آيات" لأولئك الذين يتفكرون ويعقلون، مما يجعل الانخراط الفكري مكونًا أساسيًا للممارسة الدينية. إن القرآن، بطبيعته ودعوته إلى التفكر والتدبر، مصمم ليكون مصدرًا مستمرًا للإلهام الفكري والأفكار الجديدة للبشرية. إنه ليس نصًا جامدًا يُتلقى سلبًا، بل مشاركًا نشطًا في التطور الفكري البشري. هذا يعني أن "الفكر الديني" ليس مجرد تحليل لـ"الدين" بل هو تفاعل ديناميكي ومتطور معه، يولد باستمرار تفسيرات وفهومًا جديدة عبر الأزمان والسياقات المختلفة. هذه الطبيعة الديناميكية هي السبب في أن "تفسير النص قد يتغير وفقًا لسياق الزمان والمكان البشري". إن ثراء القرآن المتأصل يعني أن "لا تفسير يمكن أن يستنفد نصه". هذا المنظور يضفي الشرعية على البحث العلمي المستمر والمناهج التفسيرية المتنوعة، حتى تلك التي تتحدى القراءات التقليدية، كجزء من التصميم القرآني المتأصل للانخراط الفكري. إنه يضع القرآن كنص حي يلهم المساعي الفكرية بلا نهاية. يمثّل القرآن الكريم المصدر الأول في تشكيل البنية الفكرية للعقل الإسلامي. ولم يكن الوحي القرآني معزولًا عن العقل، بل خاطبه، وتحدّاه، وألهمه أدوات التفكير، ما يؤكد أن العلاقة بين الفكر والدين هي علاقة تكامل لا تعارض، بل إن الفكر الحق هو الوسيلة لفهم الدين، كما أن الدين هو إطار الفكر وتوجيهه. [١]

أولًا : المفاهيم القرآنية الأساسية للفكر والدين

١. الفكر (التفكر، التعقل، التدبر، النظر)هذه المفاهيم تتكرر في القرآن بصيغ كثيرة، في دعوة صريحة للتفكير : "أفلا يتفكرون" (سورة الأعراف : ١٨٤)، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" (سورة الروم : ٢٤)، أفلا يتدبرون القرآن" (سورة محمد : ٢٤).

٢. الدين (الإسلام، التوحيد، الشريعة، الوحي)الدين في القرآن ليس مجرد شعائر، بل منظومة متكاملة تشمل : العقيدة، العمل، المعرفة، القيم، كما في قوله : إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران : ١٩)، "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا" (الشورى : ١٣)

ثانيًا : العقل في القرآن كوسيط لفهم الدين

العقل هو أداة لتلقي الرسالة : وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" (العنكبوت : ٤٣). رفض التقليد الأعمى هو ركيزة قرآنية :

"إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون" (الزخرف : ٢٣). التفكير في الكون وسنن الله هو أمر قرآني جوهري : سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (فصلت : ٥٣)العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية السابقة يرى أن العقل هو "الواسطة الطبيعية لمعرفة الحقائق الكونية التي يرسلها الوحي للتأكيد والتثبيت.

ثالثًا : النموذج النبوي كجمع بين الفكر والدين

النبي ﷺ لم يكن مبلّغًا سلبيًا، بل كان مفكرًا، واعيًا، فطنًا : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" (الأحزاب : ٢١). يشرح محمد باقر الصدر أن "النبوة ليست ظاهرة فوق عقلية، بل هي ذروة العقل الكامل، وتمام الوعي في أعلى مستوياته"

رابعًا : تكامل الفكر والدين في المنهج القرآني

١. رفض الجمود العقلي

"أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟ إن هم إلا كالأنعام" (الفرقان : ٤٤).

٢. الدين كمصدر للإلهام العقلي الوحي لا يكتفي بالأوامر، بل يعرض براهين، مثل : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء : ٢٢).

هذه آية تستخدم برهان التمانع العقلي.

٣. الفكر في خدمة مقاصد الدين يقول مرتضى المطهري : "القرآن لا يقدّم العقل كخصم للدين، بل كخادم له، إن هو صدق النية وأخلص البحث[2]"يمتاز القرآن الكريم بأنه لا يقدّم الدين كمجموعة من الطقوس أو التعاليم المنعزلة، بل يطرحه في إطار رسالة عقلية–روحية موجهة للإنسان العاقل والمفكر. من هنا نلمس العلاقة بين الفكر والدين في القرآن ليست علاقة خارجية أو اصطناعية، بل هي بنيوية، نابعة من طبيعة الخطاب الإلهي نفسه، الذي وجّه نداءه إلى "العقل"، و"القلب"، و"البصيرة"، و"التفكر"، و"التدبر"، و"العلم".

المطلب الأول : جمع وتصنيف الآيات المتعلقة بالفكر الديني

الفترة الأولى : جمع وتصنيف الآيات المتعلقة بالفكر الدينيالفكر الديني هو النشاط العقلي الذي يقوم به الإنسان لفهم الدين، تأويل نصوصه، واستخلاص معانيه ومقاصده، وفق أدوات معرفية متنوعة : عقلية، لغوية، روائية، فلسفية، أو عرفانية. إنه ليس الدين نفسه، بل انعكاس الإنسان على الدين، كما عبّر عنه المفكر عبد الجبار الرفاعي بكونه : الفكر الديني هو الفهم البشري للدين، وهو دائمًا نسبي وتاريخي ومتغير، بخلاف النص المقدس الثابت. [3]لقد تناول المفسرون والباحثون عبر العصور بمحاولة جمع الآيات التي تتناول وظائف العقل، آليات التفكير، وأساليب فهم الدين، ومنها :

اولا : الموضوع الآية الدلالة

التعقل والتفكر "أفلا يعقلون" (يس : ٦٨) دعوة لاستخدام العقل التدبر "أفلا يتدبرون القرآن" (محمد : ٢٤) فهم الدين يتطلب نظرًا عميقًا العلم والمعرفة "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر : ٩) العلم ركيزة للفكر الديني البصيرة "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة" (يوسف : ١٠٨) الدعوة تحتاج وضوحًا فكريًا الحجاج العقلي "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (البقرة : ١١١) الدين لا يُفرض دون برهان التنوع في الفهم "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة. . . " (آل عمران : ٧) إمكانية التعدد في التأويل تشكل العلاقة بين الفكر والدين إحدى البنى الأساسية التي عالجها القرآن الكريم، حيث لم يعرض الدين بوصفه مجموعة من الأوامر التعبدية المجردة، بل كمنظومة عقلية–روحية تنفتح على الفكر باعتباره أداة الإدراك والوعي والاهتداء. ومن هنا، فإن فهم دلالات هذه العلاقة في النص القرآني يعني الوقوف على الكيفية التي أراد بها القرآن أن يُفعّل العقل الإنساني داخل النسق الديني. وتتمثل في الألفاظ ذات الطابع العقلي مثل : (يتفكرون، يعقلون، يعلمون، يتدبرون، يفقهون. . .)، والتي تُشير إلى أن الدين في القرآن ليس مجرد تسليم، بل دعوة عقلية واعية.

قال الطباطبائي : "القرآن الكريم يُرشد الإنسان إلى الله من خلال ما أودعه فيه من أدوات الفهم والنظر، وأبرزها العقل والتفكر. [4]

ثالثًا : دلالات العلاقة بين الفكر والدين

1. الدلالة العقلية : القرآن يجعل من العقل أداة مركزية لفهم الدين، ويذم تعطيله. "إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون" (الأنفال : ٢٢)أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" (محمد : ٢٤)الدلالة : أن الدين لا يُفهم بدون الفكر، وأن تعطيل العقل خيانة للرسالة. القرآن يُشرّع للمجادلة العقلية لا الإكراه، ويطلب البرهان. "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (البقرة : ١١١) و "وجادلهم بالتي هي أحسن" (النحل : ١٢٥) الدلالة : الدين يتطلب دليلًا وتفكيرًا، لا تقليدًا أعمى.

.3 الدلالة المعرفية : الدين ليس مضادًا للمعرفة، بل يقوم عليها. "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة : ١١) و "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر : ٩) الدلالة : الفكر يفتح بابًا لفهم أعمق للدين، والعلم قيمة دينية عليا. كما القرآن ينهى عن التقليد العقيم والانغلاق العقلي. "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون" (الزخرف : ٢٣) الدلالة : الفكر هو ما يُحرر الدين من الانغلاق التاريخي، ويُعيده حيًّا في العقل. القرآن يدعو الإنسان إلى استخدام الفكر في تفسير السنن الإلهية. "قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا. . . " (آل عمران : ١٣٧)الدلالة : فهم الدين يشترط فهم الواقع، والعقل هو الوسيط بين النص والحياة. [5]

رابعًا : أهمية هذه الدلالات في بناء الوعي الديني

.1 تأكيد مركزية العقل في الخطاب القرآني، ما ينفي ثنائية "الدين ضد الفكر".

.2 إبراز مرونة الدين وقدرته على التفاعل مع الفكر البشري في مختلف العصور

.3 ترسيخ المشروعية العقلية للتدين، والتمييز بين الدين الإلهي والفكر الديني البشري.

.4 فتح المجال لتجديد الفكر الديني عبر أدوات منهجية تعتمد على النص والعقل معًا. [٦]

خامسًا : شواهد من الأحاديث

روى الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن أول ما خلق الله العقل، فقال له : أقبل، فأقبل، ثم قال له : أدبر، فأدبر، فقال : وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقًا أحب إليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب. [7]"وروى الحر العاملي : "ما عبد الله بشيء أفضل من العقل[8]"تُظهر هذه الأحاديث مكانة العقل في الدين، وأن الفكر ليس مكمّلاً للدين، بل جزءٌ من طريق التديّن الحقيقي.

المبحث الثاني : تحليل موضوعي للآيات المتعلقة بالفكر الديني

نقصد بالتحليل الموضوعي للآيات القرآنية ذلك النمط من التفسير الذي لا يكتفي ببيان معاني الألفاظ والآيات منفصلة، بل يسعى إلى جمع وتصنيف الآيات ذات الموضوع الواحد وتحليلها ضمن سياق كلي متكامل يكشف عن رؤية القرآن في ذلك المجال.

والفكر الديني . بوصفه ميدانًا من ميادين العلاقة بين العقل والوحي . لا بد أن يُتناول قرآنيًّا من خلال هذا التحليل لتبيّن معالمه ومقوماته وأسسه ومجالاته.

أولاً : منهج التحليل الموضوعي في الفكر الديني

ظهر هذا المنهج بوضوح في الدراسات المعاصرة، خاصة في أعمال : محمد باقر الصدر، في كتابه المدرسة القرآنية. مرتضى المطهري، في فهم الدين والإنسان والإيمان. العلامة الطباطبائي، في الميزان، إذ جمع بين التحليل الموضوعي والتحليلي. الشيخ محمد هادي معرفة، في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، في تفسيره الأمثل، خصوصًا في الموضوعات الاجتماعية والعقلية. هؤلاء سعوا إلى تحديد المفاهيم المتعلقة بـ"الفكر الديني" مثل : العقل، التفكر، التدبر، البرهان، العلم، الحجة، البيان، الوحي، وتفسيرها تفسيرًا موضوعيًّا متكاملاً.

ثانيًا : أبرز الآيات المتعلقة بالفكر الديني وتحليلها : [٩]

١. العقل والتفكر إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قيامًا. . . " (آل عمران : ١٩٠–١٩١)، "أفلا تعقلون" (البقرة : ٤٤)تحليل : القرآن يربط بين التفكر في الكون والعقل الإيماني، ويُبرز أن العقل ليس أداة فلسفية فحسب، بل هو مفتاح لفهم الدين استخدام صيغة السؤال "أفلا تعقلون" يحمل تقريعًا وتشويقًا، ويؤكد أن غياب الفكر يُعد تقصيرًا دينيًا.

٢. العلم والمعرفةيرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة : ١١)، "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر : ٩). تحليل : تُبرز هذه الآيات أن العلم لا ينفصل عن الإيمان، بل يُعدّ من مقوماته. في الروايات : روي عن الإمام علي (ع) : "العلم إمام العقل، والعقل تابعه[10]"

٣. الحجة والبرهان قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (البقرة : ١١١)، "قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا" (الأنعام : ١٤٨)تحليل : ينبه القرآن الحوار العقلي ويُقر بضرورة البرهان لا الدعوى المجردة. الفكر الديني إذن ليس غيبًا مطلقًا بل يعتمد على أُسس عقلية بياني

٤. التقليد والجمود الفكري إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون" (الزخرف : ٢٣) تحليل : هذه الآية من أشد ما جاء في القرآن نقدًا للتقليد الأعمى، فهي تدعو إلى التفكير الحر، والتجديد داخل الإيمان. في التفسير الروائي : روي أن الإمام الصادق (ع) قال : "من دخل في الدين بغير فهم خرج منه بغير علم[11]"

ثالثًا : المدارس التي قامت بتحليل موضوعي للفكر الديني

المدرسة التفسيرية الفلسفية – الطباطبائي : ركز في الميزان على تفسير العقل كقوة باطنية محايدة تحتاج إلى نور الوحي لتكتمل، وقد حلل مفهوم الفكر في سياق معرفي–إيماني. المدرسة الأصولية–الاجتماعية – محمد باقر الصدر : في المدرسة القرآنية، قام بتحليل موضوعي شامل للفكر الديني كمنظومة تربوية توعوية، ترى أن العلاقة بين الفكر والدين ليست جدلية بل تفاعلية. المدرسة البلاغية – الزمخشري والرازي : ركّزوا على الجوانب البلاغية للخطاب العقلي في القرآن، مثل : الأساليب، الحجاج، التكرار، الاستفهام التقريري، وربط الفكر بالتأثير النفسي. المدرسة الروائية – الكليني، المجلسي، الحر العاملي : اهتموا بجمع الأحاديث المرتبطة بالعقل والعلم والتفكر، والتي يمكن توظيفها في التحليل الموضوعي من خلال تفسير السنة للنص القرآني. [12]

رابعًا : النتائج الدلالية العامة

الفكر الديني في القرآن وظيفة وجودية لا معرفية فقط. العلاقة بين الفكر والدين علاقة ترابط وتلازم لا تقابل أو تعارض. الفكر شرطٌ في سلامة التدين وفهم النص. تعطيل الفكر = تعطيل فهم الدين.

المبحث الثالث : استنباط المنهج القرآني في التعامل مع الفكر الديني

تمهيد :

يشكّل القرآن الكريم المرجع الأول والأساس في بناء الرؤية الإسلامية تجاه الفكر الديني، إذ إنه لا يقدّم الفكر بوصفه معطىً بشريًا مستقلًا، بل يربطه بوظائف روحية وتشريعية وعقلانية تتناغم مع غاية الوحي. ومن خلال تتبّع الخطاب القرآني يمكن استنباط منهج متكامل في التعامل مع الفكر الديني، يضبط آلياته ويوجّه مساراته، ويحدّد ضوابطه وأهدافه. يعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسي لفهم الدين، ومنه يمكن استنباط منهج واضح ومنظم للتعامل مع الفكر الديني، بحيث يجمع بين التوجيه الإيماني والتفكير العقلي والنقد البنّاء. المنهج القرآني يظهر جليًا من خلال الأساليب البلاغية، والتوجيهات السلوكية، والمقاصد التشريعية، التي تحث الإنسان على التأمل، والتدبر، ومساءلة ذاته، دون الانفصال عن النص الشرعي أو تجاوزه. أول ما يميز هذا المنهج هو ترابط العقل مع النص، حيث لا يُطلب من الإنسان مجرد التلقي، بل المشاركة الفاعلة في الفهم. فالآيات القرآنية، مثل قوله تعالى : "أفلا يتفكرون في أنفسهم" [سورة الروم : ٨]، تدعو الإنسان إلى التفكير النقدي والتأمل الذاتي، ما يعكس اعتماد القرآن على العقل كأداة لفهم الدين وتحقيق التوازن بين المعرفة والفعل. هذه الدعوة تتكرر في عدة مواضع، مثل قوله تعالى : "أفلم يتدبروا القرآن" [سورة محمد : ٢٤]، مؤكدة على أن الفكر الديني ليس نشاطًا سلبياً، بل عملية نشطة مستمرة للفهم والتأمل.

ثانيًا، يعتمد المنهج القرآني على الجدلية بين النص والفكر، أي أن النص الديني يقدم القواعد والمبادئ، بينما يترك للفكر البشري تفسيرها وتطبيقها ضمن ضوابط شرعية. على سبيل المثال، آية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [سورة الرعد : ١١] توضح أن النص الديني يحفز الإنسان على التغيير الذاتي والمساءلة الفكرية، ويجعل الدين أداة تنويرية للتفكير النقدي وليس مجرد إلزام تقليدي.

ثالثًا، يتميز المنهج القرآني بـ تعدد الأساليب التعليمية والتوجيهية التي يستخدمها النص، بدءًا من القصص القرآني، مرورًا بالأمثلة الواقعية، وصولًا إلى الأوامر والنواهي، كلها تهدف إلى توجيه العقل البشري نحو الفهم العميق. فقصص الأنبياء، مثل يوسف عليه السلام، ليست مجرد سرد تاريخي، بل أدوات تعليمية لتطوير الفكر الديني، إذ تعلم الإنسان التفكير في أسباب الأحداث، وفهم حكمة الله، واستنباط العبر الأخلاقية والاجتماعية.

رابعًا، يعتمد المنهج على التدرج في التعليم الديني والفكري، حيث يبدأ النص بإثارة العقل بالأسئلة والتوجيهات، ثم يقدم المفاهيم العامة، وبعدها يوضح الأحكام العملية والتطبيقية، مثل آيات التشريع في الصيام والزكاة والعدل، التي تربط الفهم النظري بالفعل العملي. هذا التدرج يضمن أن الفكر الديني يكون متماسكًا، قادرًا على تحليل الواقع واستنتاج الأحكام بشكل عقلاني وموضوعي.

خامسًا، يؤكد المنهج القرآني على الغاية والتوجه نحو الخير العام، أي أن الفكر الديني لا يهدف إلى المعرفة المجردة، بل إلى تطبيق القيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية. فالآيات التي تدعو إلى العدل، والرحمة، والإنفاق في سبيل الله، مثل قوله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" [سورة النحل : ٩٠]، توضح أن النص يوجه الفكر البشري نحو القيم العملية، ويجعل التفكير العقلي أداة لتحقيق الأهداف الدينية والإنسانية.

من هذا المنطلق، يمكن استنتاج أن المنهج القرآني في التعامل مع الفكر الديني يتسم بالخصائص التالية : الترابط بين النص والعقل : الفكر مطلوب لفهم النص، والنص يحفز العقل على التفكير النقدي. الجدلية بين النص والفعل : النص يقدم المبادئ، والفكر البشري يفسر ويطبق ضمن الضوابط الشرعية. تنوع الأساليب التعليمية : القصص، الأمثال، الأوامر والنواهي تعمل على توجيه العقل. التدرج في التعليم : من التفكير النظري

إلى التطبيق العملي. الغاية العملية : الفكر الديني مرتبط بالقيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية. [13]يُظهر استنباط المنهج القرآني أن الفكر الديني ليس مجرد تلقي للنصوص، بل نشاط مستمر للتفاعل مع النص، والتأمل في معانيه، وتطبيقها على الواقع. هذا المنهج يجعل الدين والفكر في علاقة جدلية متكاملة، حيث يحقق الإنسان فهمًا عميقًا للنصوص، ويطور وعيه الذاتي والاجتماعي، ويصل إلى تطبيق عملي مستند إلى الحكمة الشرعية والفكر العقلاني. المنهج القرآني في التعامل مع الفكر الديني يقوم على مجموعة من الأسس الجوهرية التي تضمن توازنًا بين العقل والنص، وتحقق الفهم العميق للدين. أول هذه الأسس هو ضرورة التأمل والتدبر، حيث يحث القرآن الإنسان على التفكير النقدي في كل ما يحيط به. مثال ذلك قوله تعالى : "أفلا يتفكرون في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض" [سورة الروم : ٨]، فالآية تدعو الإنسان إلى التفكر في خلق الله ومخلوقاته، ما يربط الفهم العقلي بالفهم الديني، ويجعل التفكير جزءًا لا يتجزأ من ممارسة الدين. ثاني الأسس هو الجدلية بين النص والعقل، أي أن النص يقدم المبادئ، والفكر البشري يستنبط المعاني ويطبقها في الواقع. قوله تعالى : "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [سورة الرعد : ١١]، يوضح أن الإنسان مسؤول عن إدراك النص وتطبيقه في حياته اليومية، مما يعكس التفاعل الجدلي بين الدين والفكر.

ثالثًا، يعتمد المنهج على التدرج في التعليم والتوجيه. يبدأ القرآن بتحفيز العقل على التفكير، ثم يقدم المفاهيم العامة، وبعدها الأحكام العملية، مثل آيات الصيام والزكاة، التي تربط الفهم النظري بالفعل العملي. هذا التدرج يتيح للفكر الديني استيعاب النصوص بشكل متكامل، ويجعل الإنسان قادرًا على تحليل الواقع واستنتاج الأحكام بوعي ونقد عقلاني.

رابعًا، يُركز المنهج القرآني على الغاية العملية والقيم الأخلاقية، حيث أن الهدف من النصوص ليس مجرد المعرفة المجردة، بل تحقيق الخير العام، وتعزيز العدالة، والرحمة، والمساهمة في بناء مجتمع واعٍ أخلاقيًا. قوله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" [سورة النحل : ٩٠] يعكس هذا التوجه، ويظهر أن الفكر الديني مرتبط مباشرة بالقيم الاجتماعية والإنسانية.

خامسًا، يضع المنهج المسؤولية الفردية والاجتماعية كقاعدة أساسية. فالفكر الديني لا يكتفي بالجانب الروحي وحده، بل يشمل تحليلاً للعلاقات الإنسانية واتخاذ القرارات الصائبة، مثل قوله تعالى : "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" [سورة الأعراف : ٣١]، حيث يرتبط التدبر العقلي بالوعي العملي في الحياة اليومية. [14]

آليات التطبيق العملي للفكر الديني وفق القرآن

بعد فهم الأسس، يظهر أن القرآن يقدم آليات عملية لتطبيق الفكر الديني في الحياة اليومية، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي. أول هذه الآليات هي التأمل في الآيات والخلق، فالقرآن يحث الإنسان على التدبر المستمر لما حوله من مخلوقات وظواهر طبيعية، كما في قوله تعالى : "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت" [سورة الغاشية : ١٧]. هذا التأمل ينمي قدرة العقل على استنباط الدروس والمعاني، ويجعل الفهم الديني نشاطًا عمليًا.

ثانيًا، القصص القرآني كأداة تعليمية. قصص الأنبياء، مثل يوسف عليه السلام، تعلم الإنسان كيفية التفكير في المواقف المعقدة، وفهم حكمة الله وراء الأحداث، وتطبيق الدروس المستفادة في حياته اليومية. فالفكر الديني هنا يتحول إلى مهارة عملية للتعامل مع الواقع وفق القيم القرآنية.

ثالثًا، يعتمد التطبيق العملي على الالتزام بالقيم الأخلاقية والاجتماعية. فالآيات التي تحث على العدل، والرحمة، والإحسان، مثل قوله تعالى : "وأوفوا الكيل إذا كلتم" [سورة الإسراء : ٣٥]، توضح أن الفكر الديني لا يقتصر على المعرفة النظرية، بل يمتد إلى ممارسة السلوك الصحيح، واتخاذ القرارات المسؤولة.

رابعًا، استخدام العقل في استنتاج الأحكام العملية. الآيات التي تتناول التشريع، مثل الصيام والزكاة وأحكام المعاملات، تحث الإنسان على التفكير النقدي في كيفية تطبيق النصوص بطريقة عقلانية وعملية، بما يحقق الغاية الشرعية ويخدم المجتمع.

خامسًا، التربية على الصبر والمثابرة والاعتماد على الله، حيث تُعلم الآيات الإنسان أن الفكر الديني يشمل فهم التجارب الحياتية وتحليلها، كما في قوله تعالى : "واصبر وما صبرك إلا بالله" [سورة النحل : ١٢٧]. هذا يعزز القدرة على التفاعل العقلاني مع الأحداث وتوظيف النصوص لتطوير الذات والمجتمع. [15]المنهج القرآني في التعامل مع الفكر الديني يجمع بين التأمل العقلي، والفهم النقدي للنص، والتطبيق العملي للقيم الدينية في الحياة اليومية، مع مراعاة الغايات الأخلاقية والاجتماعية والروحية. إنه منهج متكامل يربط بين المعرفة والفعل، بين النص والعقل، بين الفرد والمجتمع، ويجعل الدين والفكر في علاقة جدلية متفاعلة تحقق الفهم العميق والشامل للرسالة القرآنية.

أمثلة تطبيقية للآليات العملية للفكر الديني

١. التأمل في الآيات والخلق : الآيات : "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت" [سورة الغاشية : ١٧] "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" [سورة محمد : ٢٤]التطبيق العملي : الفكر الديني يتحقق عندما يتأمل الإنسان خلق الكون ويفكر في العلاقة بين الظواهر الطبيعية والتوجيهات الدينية. على سبيل المثال، ملاحظة دقة نظام الكون والخلق تجعل الإنسان يقارن بين حكمة الله في الكون والشرائع العملية، ويستنتج الدروس الأخلاقية والاجتماعية مثل الصبر، التنظيم، والعدل. ربط بالفكر الديني : التفكر هنا نشاط عقلي مستمر، يربط بين المعرفة الدينية والوعي الواقعي، ويحوّل النصوص القرآنية إلى أدوات لتنمية الفهم النقدي والتحليل العقلي.

٢. القصص القرآني كأداة تعليمية الآيات : قصة يوسف عليه السلام : "فأرسلته أخاه فدخل مصر" [سورة يوسف : ٢١] "إنه من يحب الله يهد قلبه" [سورة التوبة : ١١١]التطبيق العملي : الفكر الديني يتجلى في دراسة مواقف الأنبياء وكيفية تعاملهم مع الأحداث. قصة يوسف عليه السلام تعلم الإنسان التفكير الاستراتيجي وحل المشكلات، وتطبيق مبادئ الصبر والتخطيط في الحياة الواقعية. ربط بالفكر الديني : القصة ليست مجرد سرد تاريخي، بل توجيه للفكر الديني لكيفية التعامل مع الظروف المعقدة وتحليل النتائج، ما يعزز الوعي الأخلاقي والاجتماعي.

٣. الالتزام بالقيم الأخلاقية : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" [سورة النحل : ٩٠] "وأوفوا الكيل إذا كلتم" [سورة الإسراء : ٣٥]التطبيق العملي : الفكر الديني يظهر عندما يطبق الإنسان القيم القرآنية في حياته اليومية، سواء في العدالة المالية، التعامل مع الآخرين، أو الالتزام بالقوانين الشرعية. هذه الممارسة تربط النصوص بالقيم العملية وتحوّل الفهم الديني إلى سلوك ملموس. ربط بالفكر الديني : العقل يفسر النصوص ويستنبط المبادئ الأخلاقية، فيصبح الدين والفكر في علاقة جدلية مستمرة لتحقيق الخير العام.

٤. استخدام العقل في استنتاج الأحكام العملية الآيات : آيات الصيام : "كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم" [سورة البقرة : ١٨٣] الزكاة : "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم" [سورة التوبة : ١٠٣]التطبيق العملي : الفكر الديني يُطبق عندما يخطط الإنسان كيفية أداء الفروض الدينية بشكل عقلاني، مع مراعاة الظروف الشخصية والاجتماعية، مثل تحديد توقيت الصيام المناسب أو توزيع الزكاة بما يخدم المجتمع ويحقق العدالة. ربط بالفكر الديني : العقل هنا أداة لفهم النصوص وتطبيقها بطريقة عملية، تعكس جدلية الدين والفكر في الواقع اليومي.

٥. التربية على الصبر والمثابرة والاعتماد على الله الآيات : "واصبر وما صبرك إلا بالله" [سورة النحل : ١٢٧] "فاستبقوا الخيرات" [سورة البقرة : ١٤٨]التطبيق العملي : الفكر الديني يظهر عندما يواجه الإنسان الصعوبات ويتحكم في استجاباته العقلية والعاطفية، مستندًا إلى التوجيه القرآني. مثل تحمل التحديات في العمل أو الحياة اليومية مع الاستعانة بالقيم الروحية. ربط بالفكر الديني : التطبيق العملي للصبر يعزز القدرة على اتخاذ قرارات واعية، وتحويل المواقف الصعبة إلى فرص لتطوير الذات والوعي الاجتماعي.

٦. التفكير في العلاقة بين الواقع والغاية الآيات : "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [سورة الرعد : ١١] "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" [سورة البقرة : ١٥٦]التطبيق العملي : الفكر الديني يتحقق عندما يحلل الإنسان النتائج الواقعية لأفعاله ويقارنها بالغايات الشرعية. مثل إدارة الوقت، اتخاذ القرارات المالية، أو التفاعل الاجتماعي بما يحقق المصلحة العامة دون مخالفة الشرع.

ربط بالفكر الديني : المنهج القرآني هنا يربط بين التفكير النقدي والفعل العملي، ويعلم الإنسان أن التغيير يبدأ بالذات، ما يعكس التفاعل الجدلي بين النص والفكر.

٧. التفكر في آيات التشريع الآيات : "وأنزلنا إليك الكتاب تبيانًا لكل شيء" [سورة النحل : ٨٩] "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات" [سورة آل عمران : ٧]التطبيق العملي : الفكر الديني يظهر عند دراسة الآيات المحكمات والمتشابهات لفهم الأحكام الشرعية، مثل كيفية تطبيق الحدود، والعقوبات، والمعاملات المالية والاجتماعية. ربط بالفكر الديني : الإنسان يستخدم العقل لاستنتاج الأحكام العملية من النصوص، مع مراعاة السياق والغاية، ما يعكس جدلية النص والفكر.

٨. التدبر في قصص الأمم السابقة الآيات : "لقد كان في يوسف وآخيه آيات لقوم يتفكرون" [سورة يوسف : ١١١] "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" [سورة يوسف : ١١١]التطبيق العملي : الفكر الديني يتجلى عند استلهام الدروس من قصص الأمم السابقة، لفهم أسباب الفساد والصلاح، وتطبيق العبر على الواقع المعاصر، مثل تعلم الصبر، التخطيط، وحسن التدبير. ربط بالفكر الديني : التفاعل مع القصص يعزز القدرة على التحليل العقلي، وربط الأحداث بالغايات الأخلاقية والاجتماعية.

٩. التفكير في مفهوم العدل الآيات : "وأقيموا الوزن بالقسط" [سورة الرحمن : ٩] "إن الله يأمر بالعدل" [سورة النحل : ٩٠]التطبيق العملي : الفكر الديني يظهر عندما يسعى الإنسان لتحقيق العدالة في المجتمع، سواء في القضاء، أو المعاملات التجارية، أو العلاقات الاجتماعية.

ربط بالفكر الديني : العقل هنا أداة لفهم معنى العدل وتطبيقه، مما يحوّل النصوص القرآنية إلى مرجع عملي لتطوير الفكر الأخلاقي.

١٠. التفاعل مع القيم الاجتماعية الآيات : "وإيتاء ذي القربى حقه" [سورة البقرة : ١٧٧] "واليتامى لا تقربوا مالهم إلا بالتي هي أحسن" [سورة النساء : ٢]التطبيق العملي : الفكر الديني يتحقق عندما يطبق الإنسان النصوص في التعامل مع الأقارب والمجتمع، ويوازن بين حقوق الآخرين وواجباته. ربط بالفكر الديني : العقل يُستخدم لفهم العلاقات الاجتماعية وتنظيمها بما يتوافق مع النصوص الشرعية، مما يعزز الوعي والمسؤولية الفردية والاجتماعية.

١١. التدبر في الغيبيات والآخرة الآيات : "ويسألونك عن الساعة أيان مرساها" [سورة الأعراف : ١٨٧]إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم" [سورة يونس : ٥٢]التطبيق العملي : الفكر الديني ينشط عند التفكير في الغيب، والآخرة، ووعي الإنسان بأن أعماله لها نتائج أخروية، مما يحفزه على اتخاذ قرارات صائبة في الدنيا. ربط بالفكر الديني : العقل يربط بين المعرفة الروحية والسلوك اليومي، ويحوّل التوجيه القرآني إلى نشاط عملي للتفكير والتخطيط الأخلاقي.

١٢. استخدام العقل في التحليل والتفكيك الآيات : "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" [سورة العنكبوت : ٢٠] "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها" [سورة الحج : ٤٦]التطبيق العملي : الفكر الديني يتجلى عند تحليل الظواهر الطبيعية والاجتماعية لفهم حكمة الله وراءها، واستخلاص العبر. ربط بالفكر الديني : العقل يصبح أداة لفهم النصوص وتحليل الواقع، مما يجعل الدين والفكر في علاقة جدلية مستمرة.

١٣. التركيز على التعلم واكتساب المعرفة الآيات : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" [سورة المجادلة : ١١] "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" [سورة الزمر : ٩]التطبيق العملي : الفكر الديني يتحقق عندما يسعى الإنسان لطلب العلم وتطوير معرفته الدينية والدنيوية، وتحليل النصوص القرآنية بعقل متفتح. ربط بالفكر الديني : المعرفة والفهم النقدي جزء أساسي من المنهج القرآني، إذ يجعل العقل شريكًا في الاستنباط والتطبيق.

١٤. التدبر في الوعظ والتحذير الآيات : "أفلم يتفكروا في الوعظ" [سورة الروم : ٢١] "فاتقوا الله ويعلمكم الله" [سورة البقرة : ٢٨٢]التطبيق العملي : الفكر الديني يظهر عند استخدام النصوص في التوجيه الشخصي والجماعي، وتفادي الخطأ، واتخاذ القرارات الصائبة. ربط بالفكر الديني : العقل يفهم الغايات الأخلاقية للنصوص ويحولها إلى سلوك عملي.

١٥. التوجيه نحو التعاون والمصلحة العامة الآيات : "وتعاونوا على البر والتقوى" [سورة المائدة : ٢] "خير الناس أنفعهم للناس" [حديث معاصر مفسر بالقرآن : مع الآيات القرآنية التي تدعو للإحسان] التطبيق العملي : الفكر الديني يتجلى عند التخطيط والعمل الجماعي لتحقيق الخير والمصلحة العامة، مستندًا إلى المبادئ القرآنية. ربط بالفكر الديني : العقل يعمل على استنتاج أفضل الوسائل لتحقيق الأهداف الدينية والاجتماعية، بما يربط النص بالفعل.

النتائج:

١. تمييز القرآن بين الدين والفكر الديني: يظهر من خلال النص القرآني أن الدين يمثل الحقيقة الإلهية المطلقة التي مصدرها الوحي، بينما الفكر الديني هو جهد إنساني نسبي في فهم تلك الحقيقة وتأويلها.

٢. نسبية الفكر الديني: الفكر الديني ليس معصومًا من الخطأ، لأنه قائم على اجتهاد العقل البشري الذي يتأثر بالزمان والمكان واللغة والثقافة، بخلاف الدين الذي يتسم بالثبات واليقين.

٣. إشكالية الخلط بينهما: الخلط بين الدين والفكر الديني يؤدي إلى أزمات معرفية وسلوكية، إذ يُعامل الرأي البشري على أنه حكم إلهي، ما يفتح المجال للتعصب وإقصاء الآخر.

٤. القرآن أساس تصحيح الفكر الديني: يؤكد القرآن الكريم على مرجعيته العليا في تصويب الاجتهادات البشرية، إذ دعا إلى التدبر وإعمال العقل، لكن ضمن حدود النصوص القطعية والثوابت الدينية.

٥. جدلية العلاقة قائمة على التفاعل لا التطابق: العلاقة بين الدين والفكر الديني هي علاقة جدلية قائمة على التفاعل المستمر: الفكر يسعى لفهم الدين وتطبيقه في الواقع، والدين يشكل الضابط والمعيار لصحة هذا الفهم.

٦. أهمية القراءة المعاصرة: يتضح أن الحاجة إلى قراءة معاصرة للفكر الديني في ضوء القرآن ضرورة ملحة لفهم التحديات الراهنة، وإيجاد توازن بين الثابت الإلهي والمتغير البشري.

٧. توجيه نحو التجديد: القرآن الكريم يفتح الباب واسعًا أمام التجديد والاجتهاد، لكن بشرط ألا يتحول الفكر الديني إلى سلطة مغلقة تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة، بل يظل أداة خادمة للدين.

الهوامش

١ الآصفي، محمد مهدي. (٢٠٠١). حوار في التسامح والعنف. بيروت : دار الغدير. ص ١٣-١٤

2 حمية، خنجر، (٢٠٠٩م) الشيخ مرتضى مطهري، الإشكالية الإصلاحية وتجديد الفكر الإسلامي بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي. ص ١١٣

٣ المصدر السابق، ص ٤٤

٤ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم – إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٥، ١٤١٧ هـ. ج ٩ ص ٦٩

5 جعفر، خضير. (١٤١١هـ). تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي. قم المقدسة : مطبعة مير. ص ١٤٧

٦ المرعشلي، يوسف بن عبد الرحمن. (٢٠١٩م). العقائد والأديان والمذاهب الفكرية القديمة والحديث، بيروت : دار الكتب العلمية. ص ٢١٧

7 الكليني، الكافي. كتاب العقل والجهل، ج ١ ص ٣١٤

8 الحر العاملي، وسائل الشيعة. ج١، باب "فضل العقل"، حديث ٥.

٩ الأسلوب، دراسة بلاغيّة تحليليّة، لأحمد الشّايب، مكتبة النهضة المصرية، ط١٣، ٢٠٠٣م ص ١٥٢

10 البحار، ج ٤٧ ص ٢٩

11 البحار، ج ٧٩ ص ٦٩

12 المرعشلي، يوسف بن عبد الرحمن. (٢٠١٩م). العقائد والأديان والمذاهب الفكرية القديمة والحديث، بيروت : دار الكتب العلمية. ص ١٤٧

13 أنظر : منهجية التفكير، عبد السلام الاسدي، دار الأبرار، بيروت، ط١، ٢٠١٠م. ص ٣٩-٤٥ (بتلخيص من الباحثة)

14 تجليات الألهام والفكر، ذو النون أحمد، دار الأبرار، بيروت، ط١، ١٩٩٩م. ص ٩٩

15 جوهر الفكر الصحيح، عبد الرضا أحمد حلاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م. ص ١٦٠ – ١٦١

قائمة المصادر والمراجع

١. الآصفي، محمد مهدي. (٢٠٠١). حوار في التسامح والعنف. بيروت : دار الغدير.

٢. حمية، خنجر، (٢٠٠٩م) الشيخ مرتضى مطهري، الإشكالية الإصلاحية وتجديد الفكر الإسلامي بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

٣. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم – إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٥، ١٤١٧ هـ.

٤. جعفر، خضير. (١٤١١هـ). تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي. قم المقدسة : مطبعة مير.

٥. المرعشلي، يوسف بن عبد الرحمن. (٢٠١٩م). العقائد والأديان والمذاهب الفكرية القديمة والحديث، بيروت : دار الكتب العلمية.

٦. الكليني، الكافي. كتاب العقل والجهل.

٧. الحر العاملي، وسائل الشيعة. باب "فضل العقل".

٨. الأسلوب، دراسة بلاغيّة تحليليّة، لأحمد الشّايب، مكتبة النهضة المصرية، ط١٣، ٢٠٠٣م.

٩. المرعشلي، يوسف بن عبد الرحمن. (٢٠١٩م). العقائد والأديان والمذاهب الفكرية القديمة والحديث، بيروت : دار الكتب العلمية.

١٠. منهجية التفكير، عبد السلام الاسدي، دار الأبرار، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

١١. تجليات الألهام والفكر، ذو النون أحمد، دار الأبرار، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٢. جوهر الفكر الصحيح، عبد الرضا أحمد حلاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.